* تركي عبدالله السديري، رئيس اتحاد الصحافة الخليجية

في ذهني

الملك عبدالله في قدرات التحديث المرموقة

في عالمنا العربي وعبر مسارات تاريخنا الحديث منذ منتصف القرن العشرين وحتى حاضر تجاوزنا بداية القرن الحادي والعشرين ارتبطت مسلكية الزعامات المحلية بما يبدو وكأنه «ضرورة» إثارة الخلافات مع دول جوار معينة، والإطاحة بما هو قبل نظام «الزعيم» الفرد.. من استقرارية اجتماعية أو تعدد نمو اقتصادي أو تنوّع مصالح دولية.. ولم تكن النتائج تسفر عن أي مكاسب، بل كل ما يحدث وما هو واضح في طبيعة الحاضر هو محاولة بروز لـ «فرد» وليس لمجتمع.. خصوصية تألق لزعامة وليس لوطن، والعلاقة مع العنصر الأجنبي- غير العربي - تأتي وبالذات مع الدول الكبرى بواقع أسوأ، حيث لا يوجد في الداخل العربي ما هو مقنع أو مغرٍ بالنسبة لزمالة الخارج..

أستطيع القول إنه في بعض الظاهرات.. بعض شخصيات هذه الممارسات؛ يحدث أن يتم تحويل الأمة إلى مجرد هامش تتحرك فيه شخصية الزعيم..

يختلف الأمر عند التعرف إلى خصائص شخصية الملك عبدالله بن عبدالعزيز.. ملك المملكة العربية السعودية.. إنها شخصية انفراد في طبيعة مقوّماتها، وكذا طبيعة تميّزاتها، حيث هو في الواقع ظاهرة أداء وطني ودولي بانفرادات خاصة ضاعفت من تعدّد مظاهر الاحترام لشخصيته ولقراراته..

هو في سلوكيات الداخل كرجل قيادي أول أتت مشروعاته العديدة، نوعيّة وتوجهات، وهي أشبه ما تكون حصيلة دراسات دقيقة سبقت تواريخ إصدارها لتأتي وهي مطابقة لحقائق الاحتياجات التنموية والاجتماعية والاقتصادية والتقنية في زمن ليس بالطويل إذا ما قورن بأي موقع زعامة آخر..

لم يطلق الملك عبدالله وجاهة رأي فقط، أو رصداً ضخماً لمشروع تطوير، أو جزالة مساهمة إنسانية.. كي يقال إنه فعل ذلك.. لكنه مارس مهمة الفعل كي يؤدي واجب الزعامة القادرة والواعية التي انفرد بها..

إن تعدد حالات النقص في مسارات النمو داخل المملكة ليست بالقليلة، لذا كان من السهل أن يتجه إلى البعض منها ليصعد إلى انفرادية التقدير، لكن، ولأن أهداف النمو ليست تتجه إلى ذاته، فهو قد ذهب إلى تعدد الفئات الاجتماعية بتعدد المشروعات الوطنية الهائلة الإنفاق، حيث سوف تأتي وهي الهائلة أيضاً في نتائجها.. الابتعاث مثلاً الذي تجاوز الـ80 ألف طالب.. الجامعات التي كانت محدودة المواقع في المدن الكبرى.. أصبحت منتشرة في مواقع سكانية ثانوية لم تكن مرموقة من قبل.. لا فرق بين شمال وجنوب في تعدّد مشروعات المدن الصناعية واستثمارات الاقتصاد..

عملياً.. نجد ان اسم الملك عبدالله قد ارتبطت به كل دوافع وقدرات التحديث المرموقة حالياً..

إذا جئنا إلى علاقاته الدولية.. على الأصح علاقات بلاده.. بل الأصح أكثر وأكثر.. علاقات قضايا عالمه العربي بالمجتمعات الدولية.. سنجد أن الملك عبدالله قد وفّر في الذهنيات السياسية الدولية البعيدة عن مشاكل الشرق الأوسط.. لكن لديها قابلية المشاركة في حلول تلك المشاكل وبالذات مع إسرائيل.. قد وفّر قناعات عميقة بأنه لا يزايد على حلول تلك القضايا، وليس يربطها أيضاً بأي مكسب يرتبط ببلاده، ولكنه وبحيادية رجل حضور دولي مرموق يدعو العالم إلى نزاهة التعامل مع حقائق ما هو فيه الواقع الفلسطيني من إهمال وتدمير..

غير ذلك؛ نعرف جيداً انفراديته المثالية بضرورات الحوار بين الأديان والثقافات بنزاهة فكرية وشخصية لنا الحق أن نعتبرها انفراداً دولياً مرموقاً..

F

* رئيس مجلس إدارة هيئة الصحفيين السعوديين ورئيس تحرير «جريدة الرياض» السعودية